الجزء ٤ السنة السادسة



مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيو يورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك ايار — (مايو) سنة ١٩٠٨ — ربيع ٢ سنة ١٣٢٦

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

الفيلسوف نيتش وفلسفته

فيلسوف كان له تأثير عظيم في افكار البشر في الارض
وقد حاول هدم اكثر المبادىء القديمة
الصحيحة والفاسدة

سلسلة مقالات نبسط فيها فلسفته

نعود في هذا الفصل الى تلخيص فلسفة نيتش الذي نشرنا طرفاً من ترجمته وشيئاً من مبادئه في الجزء السابق • ونجعل هذا التلخيص شذرات نورد

فيها أهم آرائه (١) قال:

الغاية

ما مذهبنا ؟ مذهبنا ان الانسان لا يتخذ صفاته من أحد لا من خالق ولا الهيئة الاجتماعية ولا أهله ولا أجداده ولا من نفسه. وليس احد مسئولاً عن وجود الانسان ولا عن وجوده في هذه الحالة دون تلك. وقَدَرُ وجوده لا ينفصل عن قَدَرِ كل ما كان وما سيكون. فليس الانسان بنتيجة ارادة خصوصية ولم يوجد لغاية. فارادة ايجاد غاية له وصرفه اليها وجعل هذه الغاية الكمال الانساني او الهناء المطلق او الكمال الادبي — تعدُّ عندنا إخراجاً له عن اصله وطبيعته. فمن العبث ان نحاول صرف وجوده الى (غاية) ما اذ لا غاية لوجوده. وهم قد اخترعوا فكرة (الغاية) اختراعا. وانما الانسان لازمٌ عن الكون وجزءٌ من القَدَر اعني (جزءٌ من الكل). وليس من شيء يحدد وجودنا او يحكم عليه لان ذلك بمثابة تحديد (للكل) وحكم على الكل. ولا شيء خارج هذا الكل. وليس أحد بمسئول لان العالم ليس (بوحدةٍ) لا حساً ولا عقلاً. وهذا هو الخلاص العظيم. (كذا)

الذين يطلبون جعل الانسانية افضل مما هي

في كل زمان ومكان طلبوا جعل الانسان افضل مما هو - ولكن الطرق التي اتخذوها (لترقيته) كانت ذرائع الى إضعافه وتدجينه كالحيوانات الوحشية التي تُضعَف لتُجعل اليفة. فعندهم معنى (ترقيته) جعله قليل الخطر وذلك بارهابه او ترغيبه. وهكذا يجعلونه (حيواناً مريضا)

---

(١) قرأنا أهم كتب نييتش واشرنا الى أهم فصولها بقلم من رصاص منذ بضع سنوات. ونحن الآن نلخص من هذه الفصول تلك المقتبسات. ورب شذرة هنا ملخصة بعناء شديد من عدة صفحات

ان خطأهم في الحكم في الآداب الحاضرة كخطإهم في الحكم الديني ·
ومصدر الخطأ في الحكمين واحد وهو الجهل أي عدم تفرقتهم بين الشيء الحقيقي
والشيء التصوري · او عدم ارادتهم هذه التفرقة

ان جميع الذين طلبوا جعل الانسانية افضل مما هي وسعوا الى ذلك من
عهد مانو وافلاطون وكونفوشيوش حتى الآن كانوا يخفون الحقيقة و يجيزون الكذب ·
وعليه يمكننا ان نقول ان كل الطرق التي اتخذت لجعل الانسانية (أرقى وأصح
آداباً) كانت (أي تلك الطرق) طرقاً منحطة غير أدبية · (كذا)

الغيرية دلالة على الانحطاط !!!

كل آداب غيرية · كل آداب تذبل فيها الانانية : هي دلالة سيئة ·
وهذا يصح في الافراد وفي الشعوب معاً · فانه متى ضعفت في الانسان اثرته
فقد ضعف افضل ما فيه (؟؟؟) وكلما اختار الانسان شيئاً مضراً له واستسلم الى
مبادئ يسميها انكار الذات (أي لا منفعة له فيها) فقد صار الى الانحطاط ·
فان قول الانسان انه لا (يطلب منفعته) قول يدلُّ على حقيقة بسيكولوجية باطنية
تناقض قوله هذا: وهي ,, حيرته أين يجد منفعته وعجزه عن نيلها '' وهذا
هو انحلال الغرائز في الانسان · حينئذ قل على ذلك الانسان السلام لانه أصبح
(غيرياً) · فكأنه بدل قوله بكل صراحة ,, لم يبقَ لي نفع ولا شأن '' يقول
برياءٍ ادبي ,, ليس في الحياة شيءٌ بذي شأن (؟؟؟) وهذا الحكم يفضي على
مرور الزمان الى خطر عظيم على الهيئة الاجتماعية اذ يسمم دماءَها

هل نحن افضل من المتقدمين واصح ادباً

لما ظهر كتابي (ما وراء الخير والشر) تألبت عليَّ كل قوات الدناءة الادبية
التي يعدُّونها في المانيا آداباً · ولو أردتُ لقصصت من هذا القبيل قصصاً مضحكة ·
وقبل كل شيء ارادوا إفهامي افضلية عصرنا هذا على كل عصر متقدم (افضلية

مطلقة) وخاصةً في عالم الآداب • منهم محرر سويسري في جريدة (بوند) تفضّل عليّ برأي محصله انه لم يفهم من كتابي سوى انني ارغب في محق كل العواطف (النزيهة) • فشكراً لك •• اما جوابي فهو بحثي في هذا السؤال ,, هل نحن قد اصبحنا حقيقة اصحّ اداباً ممن تقدمونا ؟"

يعتقد جميع الناس اننا اصبحنا كذلك واما انا فأرى ان إجماعهم على هذا الاعتقاد دليل على عكسه

اننا رجال هذا العصر نرى نحافتنا ولطف احساسنا ونجد اننا نتبع عدة عادات وامور مختلفة فنتوهم ان هذه العواطف الانسانية الرقيقة التي تمثلها وهذا الاجماع عليها بملء الثقة والمساعدة المتبادلة بين الجميع — هي (ارتقاء حقيقي) واننا لذلك ارقى من رجال النهضة الاولى (١)Renaissance • ولكن هذا العجز والضعف الذي نحن فيه لا يُعدُّ (ارتقاءً) حتماً وانما هو صورة اخرى للاداب الاولى متأخرة مختلفة عنها تؤدي الى آداب (كلها مراعاة)• فان إضعاف الغرائز العادية (٢) الذي نظنه (ارتقاءً) انما هو نقص عمومي في الحيوية • فاصبحت معيشتنا الآن تقتضي أضعاف ما كانت تقتضيه المعيشة الاولى مئة مرة من الاحتياط والوقاية والتعب ليتمكن الانسان من البلوغ الى مقام رضيّ فيها معا يقتضي ذلك المقام من التقييد وبلوغه اليه متأخراً • ولذلك ترى المساعدة متبادلة بين الجميع وكل واحد منهم مريض كثيراً او قليلاً او ممرِّض • هذا ما يسمونه اليوم (فضيلة) • ولكن الرجال الذين عرفوا معيشة مختلفة عن هذه المعيشة قويةً غزيرةً جريئة يسمون هذا الامر (جبانة ودناءة لا فضيلة) فان تلطف اخلاقنا وعاداتنا

---

(١) المقصود هنا بالنهضة Renaissance النهضة العلمية والادبية التي حدثت في اوروبا في القرن الخامس عشر والسادس عشر وساعدها يومئذ اختراع الطباعة

(٢) من عدا عليه عُدواناً

هو عندي — وهذا هو الجديد في آرائي — نتيجة ضعفنا (؟؟؟) ٠اما الشدة والغلظة في الاخلاق فقد تكونان دليلاً على قوة الحياة وفيضانها (١) ذلك لان الانسان في هذه الحياة يجازف كثيراً ويقتحم كثيراً و(يبذر) كثيراً أي يتمتع كثيراً ٠ فهل الذي كان من قبل ملح الحياة وروتقها نعده اليوم سماً ؟ ان عدم المبالاة الذي بلغنا اليه دليل على الشيخوخة ٠ وآدابنا التي نراها الآن منطبقة على اخلاقنا وحاجاتنا انما هي عبارة عن اضطراب بسيكولوجي خاص بكل ما هو منحط ٠ فهذه الحركة التي اتحدت بمذهب شوبنهور في الشفقة الانسانية وحاولت ان تتخذ صفة علمية انما هي حركة انحطاط محض ٠ وان العصور القوية التي نشأت فيها عقول شريفة قوية انما كانت ترى الشفقة وحب القريب ونقص الاثرة وقلة الاستقلال شيئاً محتقراً ٠ والآن نعيش في عصر ضعف وهذا الضعف يُنشئ (فضائلنا) التي نفتخر بها فهي لازمة عنه ٠ فان (المساواة) مثلاً التي تجعل (حقوق البشر متساوية) انما هي من خصائص المدنيات المتدلية لا الراقية ٠ فالوادي الذي يفصل رجلاً عن رجل وطبقة عن طبقة وتعدد فئات البشر اخلاقاً واستعداداً وارادةُ كل كائن ان يكون هو نفسه قائماً بنفسه مستقلاً عن غيره وممتازاً في هذا الاستقلال بحسب مقدرته — كل هذه مزايا لجميع العصور القوية الماضية ٠ واذا كانت اوروبا وفيها السلطنة الالمانية قد خرجت عن هذه القواعد واتبعت مبادئها السياسية وشرائعها الدستورية الحاضرة فخروجها كان لازماً عن تأخرها وانحطاطها في الطريق التي سلكتها ٠ وقد بلغ فعل هذا الانحطاط حتى الى صميم بعض العلوم الخصوصية ٠ فان مبادئ انكلترا وفرنسا السسيولوجية نشأت كما هي الآن لان اصحابها لم يعرفوا

(١) نحمد الله ونيتش لانه قال « قد تكونان » لان بهذا التقليل « قد » تنصل من الاعتراض الذي عليه هنا ٠ وكم عليه من اعتراض غيره في غير هذا الموضع

بالخبرة الا (المواد المنحلة) في الهيئة الاجتماعية · وتراهم مع هذا يتخذون بسذاجة غرائزهم المنحلة بهذه المبادئ المنحلة كقاعدة يبنون عليها احكامهم السسيولوجية · فاصبحت فكرتهم السسيولوجية الكبرى : تدلي الحياة وانحطاطها وإنقاص كل القوى المدبرة المنظمة اعني القوى التي تفصل بين الناس وتحكم العلائق بين الرئيس والمرؤوس بنظام ضروري · نعم ان الاشتراكيين قوم منحطون ولكن المستر هربرت سبنسر (١) منحط ايضاً لانه يقول (بالغيرية ويتمنى غلبتها''

زيارة
للبيت الابيض والكونكرس

البيت الابيض مستقر رئيس الجمهورية الاميركية والكونكرس «مجلس النواب الاميركيين» زارهما الكاتب في زيارته لواشنطن (العاصمة) وكتب فيهما الرسالتين التاليتين

بقلم نقولا افندي الحداد

بلغتُ الى الرأس من بدن الامة الاميركية · وما اشبه واشنطون بالرأس · فان فيها دماغ الامة الاميركية ومجموعها العصبي · فهي اذاً مصدر الحركة والقوة · وما مظاهر الهيئة الاجتماعية الاميركية الا العضلات التي تتحرك بقوة ذلك المصدر من القوى الدماغية المهمة اثنتان الضمير أي القوة المشترعة والارادة أي القوة المنفذة الشريعة

(١) الفيلسوف المشهور

ففي الكابيتول — مقر مجلسي الشعب — ضمير الامة الاميركية الذي يدل على العدل والحق ويشترع لهما

وفي البيت الابيض ارادة تلك الامة التي تنفذ ما يوعز به ضميرها

وقد قصدتُ الى كلا ذينك — الضمير والارادة

الضمير

الكونكرس (مصدر الشرائع)

قصدتُ الى الكابيتول حيث يجتمع مجلس النواب ومجلس الشيوخ فاذا هو بناء فخيم جداً رابض في وسط المدينة ومن حول دائرته تبتدئ الشوارع طولاً وعرضاً ومواربة . فالشوارع العريضة من الجنوب الى الشمال تسمى بالاعداد يمينًا او يساراً . والشوارع الطويلة من الشرق الى الغرب تسمي بالحروف الهجائية شرقًا او غربًا . والشوارع المتواربة التي تقاطع الشوارع المذكورة آنفًا من زاوية الى زاوية تسمى باسماء الولايات المتحدة — وهو نسق حسن الترتيب

اما الكابيتول فجميل البناء جداً غير فائق الزخرف ولكنه متقن الفن نفيس المادة معظمه من الرخام ونحوه وانيق الرياش . يقال ان نفقة بنائه بلغت نحو ١٥ مليون ريال

ففي منتصفه بهوٌ واسع جداً تام الاستدارة ومغطًى بقبة شاهقة جسيمة ليس فيها موضع كف بلا نقش وفي جدرانه صور زيتية ثمينة . وهو كرحبة ومجلس للداخلين . وعن يمين ذلك البهو يُدخَل الى رواقٍ يؤدي الى نادي مجلس النواب . وهو بهو مستطيل مربع الزوايا . وقبل قامة من سقفه تستلقي جدرانه الاربعة الى الوراء حيث جُعلت فيها المجالس صفوفًا متدرجة الى الاعلى للزائرين

اما ارض البهو فتشغلها مجالس الاعضاء على شكل أهلة بعضها وراء بعض على طوله · ولدى منحناها أي في صدر البهو منصة رئيس المجلس وسائر موظفيه

وحول ذلك البهو اروقة يدخل منها الى مكاتب مختلفة · ذلك ما هو الى يمين الرحبة المركزية ذات القبة · اما ما هو الى يسارها فقاعة للمحكمة العليا وبهو آخر لمجلس الشيوخ على مثال مجلس النواب تماماً

وكنتُ اظن ان الدخول الى أي المجلسين يقتضي جهد السعي الى أذن ممن لهم اصبع فيهما لان المجلس الذي اقامه ٨٤ مليون نسمة ليكون ضميره الحي فيدله على الصالح ويحذره من الطالح بما يشترعه من الشرائع — لا بد ان يكون مكتوماً عن العوام مصوناً من الابتذال وقور الحضرة رهيب المجتمع

على اني ما غفلت عن التسآل فعلمت ان مجلس النواب منعقد حينذاك وان الدخول الى الشرفات العليا حيث يجلس الزائرون مُباح لايّ الناس بلا استثنا اللهم الا من يكون وجوده سبب اضطراب في المجلس · فصعدتُ ودرت حول نوافذ تلك الشرفات فقرأت فوق ابواب بعضها هذا للسيدات وذاك للساسة وذاك لعائلات الاعضاء وذاك للصحافيين وذاك للرجال فدخلت في هذا فرأيت غير ما كنت أتوهم

كنت اتوهم ان مجلساً كهذا لابد ان يكون طويلاً عريضاً جداً حتى لا يكاد المتطرف فيه يسمع صوت المتكلم في منصته · وان الزائرين يكونون في مكان منفرد بعيد وانهم يعدون على الاصابع لعدم جواز ان يحضر أي كان وان القوم يكونون سكوتاً كأن على رؤوسهم الطير

ولكني رأيت ان البهو كما وصفته وليس اوسع من صحن ملعب معتاد وحول اعلاه مقاعد الزائرين وهي غاصة بهم وفي مجالس الاعضاء الاربع مئة

التي تشبه مجالس طلبة المدارس تماماً لولا نفاستها لا يوجد اكثر من ٤٠ او ٥٠ عضواً هذا يدخل وذاك يخرج وذلك يدنو من المنصة ويهمس في اذن احد الكتبة وذلك مستلق في مقعده كأنه يستقبل ملاك الكرى . وهذاك يقرأ جريدة وهذا يعنون تحريراً ويلصق عليه طابع البريد . واثنان او ثلاثة يتناوبون الوقوف في مجالسهم ويتناقشون . ورئيس المجلس كل هنيهة يضرب بمطرقته الخشبية تنبيهاً للحضور لحفظ النظام والسكون . وبعد مناقشة المتناقشين يقرأ الرئيس صورة الاقتراح ويقول ,, الذين يوافقون عليه يقولون (آي) والذين لا يوافقون يقولون (نو) فبعضهم يقولون آي وبعضهم يقولون نو فالوجه الذي يراه الرئيس ارجح يقرره ويصبح مرشحاً للعرض على مجلس الشيوخ

وكان حين وجودي هناك بحث المتناقشين في منع سباق الخيل من مقاطعة كولومبيا التي فيها هذه العاصمة فتقرر منعه

والذي يشاهد ذلك المجلس لا يكاد يصدق انه مجلس الامة الذي يسن شرائعها لبساطته وخلوه من الرسميات واكتفائه بحفظ النظام فقط . ذلك لان الاميركان لا يعبأون بالابهة ولا يتبجحون بالفخر والعظمة

والذي لاحظته وادركته حينئذ انه لم يكن لدى المجلس من اللوائح المهمة التي تستوجب تناقش الاعضاء جميعاً كلائحة (ألدرش) المختصة بترويج حركة النقود مثلاً او نحو ذلك والا لكان النادي مستوفى الاعضاء وكان الجدال محتدماً بينهم . اما والمواضيع كانت غير مهمة فقد اجيزت عدة اقتراحات غير اقتراح منع السباق في البرهة التي كنت فيها هناك من غير ان يتناقش فيها بعض الاعضاء

ثم انه لا يخفى ان لدى مجلسي الامة في هذا الفصل بضع مئات لائحة . ولهذا تقسم الاعضاء الى لجان مختلفة كل لجنة تبحث في جانب من تلك

اللوائح . و بالتالي كان عدد الاعضاء حينئذ قليلاً جداً

وفي حين آخر قصدتُ الى مجلس الشيوخ فرأيت فيه مثل ما رأيت في مجلس النواب الا ان النظام فيه أتم

اما الامر الذي انتبهت اليه على الخصوص فهو انني لم أرَ في ذلك البناء العظيم ولا لدى مدخله جنديًا قائمًا على سلاحه لاجل الحراسة كما نرى في البلاد الملكية الاحكام حيث تحرس دور الحكومة فرق من الجنود او الشرطة . فكأن الكابيتول ليس الا بناء تشغله شركة تجارية او جمعية ادبية

الارادة

(البيت الابيض . منزل رئيس الجمهورية)

دخلتُ الى البيت الابيض عرضاً . ذلك اني دخلت الى الخزينة من باب وخرجت منها من باب آخر فرأيت امامي منزلاً ابيض و بعض الناس يؤمونه فتقدمت اليه

ولما دخلت بابه وجدت في رحبته الاولى رجلاً كأنه جنديٌ او شرطي و بعض السيدات يسألنه اموراً حتى اذا انتهينَ سألته ما هذا المقام فقال (ذي هو يت هوس) البيت الابيض . فتعجبت

البيت الابيض يعني قصر حاكم المملكة الاعلى مثل قصر بكنهام الانكليزي او قصر بترهوف الروسي او قصر يلدز التركي

تعجبت لاني رأيته وانا مقبل عليه ليس الا منزلاً بسيطًا جداً وفي المدينة كثير من المنازل الفخم منه واجمل وربما كان بعضها اكبر منه

فطفتُ مع الطائفين في قاعاته المفتوحة للزائرين . فاذا هي بسيطة ايضاً قليلة الزخرف ولكنها نفيسة الرياش ومزدانة بصور بعض الحكام والرؤساء

السابقين وزوجاتهم

وبعد ما طفت بضع قاعات اتصلت الى باب وقد كُتب عليه (خصوصي) ففهمت ان هناك تقيم حينئذ اسرة الرئيس

ولم أرَ في تلك الاندية التي طفت فيها سوى ثلاثة اشخاص لعلهم شرطة يستقبلون الطائفين فخاطبت احدهم وقلت له هل من سبيل لرؤية الرئيس ؟ قال اذا كنت ذا شغل معه فلا مانع من ان تراه والا فهناك يوم في السنة يستقبل فيه كل زائر بلا استثناء . وفيما سوى ذلك لا وقت عنده لمقابلة الراغبين في مقابلته لانه اذا اباح مقابلتهم شغلوه عن مهامه

فقلت عند ذلك في نفسي فلتحيَ الديموقراطية لانها تحظر استكبار الافراد لتفاوتهم في هممهم ومواهبهم وتمنع استعلاء بعضهم على بعض مهما انفرجت اقدارهم ولتزل الارستوقراسية التي تعالى فيها بعض السلالات على بعض حتى قد يكون الاحمق مستعلياً على النابغة

ولما خرجت من البيت الابيض وجدت وراءه بناء كبيراً فدخلت اليه وسألت ما هو فقيل لي هو ديوان الحربية فقلت في نفسي . عجيب أيكون هذا ديوان الحربية ولا جندي فيه للحراسة او المظهر الرسمي او للدلالة على ماهيته ؟

وقد وقفت لدى احد الموظفين هناك وسألته في ذلك فقال ,, لا رسميات عندنا وما الحكم عندنا على اختلاف انواعه الا كسائر الاعمال الاجتماعية . ولا داعي هنا لحراسة الديوان بقوة جندية سوى اظهار الابهة والفخار ونحن لا نعبأ بها كما ترى . ولا ثوب رسمي في بلادنا سوى ثوب الجندية الذي لا بد من وحدته للدلالة كما انه لا بد من رسمية قبعة المشتغلين في السكك الحديدية او في المركبات الكهربائية للدلالة على وظائفهم لا للابهة ‘‘

فقلت ان حديثك هذا يذكرني بشاهد عليه وذلك انه لما انتشر نعي

الطيبة الاثر الملكة فكتوريا احتفلت المدرسة الكلية السورية في بيروت بجناز لها ودعت والي الثغر واهل الخطط فيه وقناصل الدول فكان جميع القناصل بالاثواب الرسمية المقصبة الا قنصل اميركا فكان بينهم مغايراً لهم بالثوب المعتاد اذ لا ثوب رسمي له

ثم سألته اين النادي الذي تجتمع فيه الوزارة الاميركية فقال في مكتب الرئيس الذي في البيت الابيض

فقلت أفي ذلك المنزل الصغير يوجد مكتب رئيس الولايات المتحدة وفي مكتبه يجتمع وزراء الدولة للبحث في شؤون البلاد

فقال نعم

فقلت أفي ذلك المقام الصغير يلتقي وزير البحرية بالرئيس ويتباحثان بأمر ارسال الاسطول من الاتلانتيك الى الباسفيك و يلتقي به وزير الخارجية ويقرران السياسة مع اليابان

فقال نعم نعم

فقلت أمن ذلك المكتب الصغير صدرت الكتابة التي اقنعت روسيا واليابان ان ترسلا مندوبيهما الى هذه البلاد لعقد الصلح

فقال نعم منه ٠ منه تصدر كل الاوامر وكل سياسة محلية او دولية

فقلت عجيب ما اكبر فعل هذا المكتب الصغير وما اوسع تلك الغرفة الضيقة التي تستطيع ان تعي وزير الداخلية ووزير الخارجية ووزير الحربية ووزير المعارف ووزير الزراعة وو الخ وأخيراً رئيس الولايات المتحدة

فابتسم وقال — لا يخفى عليك ان مملكتنا لم تزل حديثة

فضحكت معه وقلت انكم تعبأون بالافعال دون الاقوال وتعتصمون بالجوهر دون العرض ٠ وهذا هو سرّ رقيكم باركَ الله فيكم ﴿ نقولا الحداد ﴾

كلام ابن الشرق في الغرب

﴿ وهو كلام من سمع ورأى ﴾

سلسلة مقالات « لصاحب الجامعة » يدرس فيها
شؤون المدنية الاميركية وآثارها

قلنا في خاتمة الفصل السابق في الجزء السابق ,, سننظر في مقالة تالية كيف رقّت التجارة والصناعة الفنون في اميركا وكيف رقت الفنون التجارة والصناعة فيها '' وليس غرضنا الاقتصار على هذا البحث بعينه وانما هو عندنا ذريعة الى البحث في مسألة هامة في المدنية الاميركية كانت ولا تزال مثاراً للخلاف والنزاع بين كتّاب اوروبا واميركا الاجتماعيين . وهي ما تقدم بسطه في الفصل السابق بهذه العبارات :

(اذا كان (أي الناظر في المدنية الاميركية) ممن نشأوا على المبادىء الايديالستية ويفضلون آثار (العقل والنفس) على آثار المادة قال ان الاميركيين قوم حديثو النعمة كبيرو الدعوى مع انهم لا يزالون اطفالاً في المدنية الحقيقية (أي في الآداب الاجتماعية والسياسية والعلوم والفنون) واذا كان ممن نشأوا على المبادئ الاوتيليتر (النفعية) ويفضلون آثار المادة على (آثار العقل والنفس) قال ان المدنية الاميركية تقدمت المدنية الاوروبية بمراحل)

فكلامنا هنا في نفس طبيعة المدنية الاميركية وأثر التجارة والصناعة في اخلاق الامة وآدابها وفنونها واثر هذه الآداب والفنون في تجارتها وصناعتها

﴿ الرفيقان المتلازمان ﴾ الاصلاح في الارض ضربان . ادبي ومادي .

فبعض علماء الاجتماع يقولون انه اذا لم يتقدم الاصلاح الادبي الاصلاح المادي

فكل ما تبنيه الامة صائر الى الانهدام . يعنون بذلك ان الامة اذا انصرفت الي الشؤون المادية من تجارة وصناعة وزراعة وكبرت وأثرت قبل ان تحدث الاصلاح الادبي في اخلاقها وتدخله الى اعماق نفوسها فانها تشبه رجلاً جسمه ضخم ممتلئ شحماً ولحماً وعقله صغير أفرغ من جراب ام موسى . وهم يستشهدون على ذلك بالافراد الذين يثرون وتكون هذه حالتهم . و يقولون ان الامة التي (تسمن جيوبها) و (تهزل عقولها) على هذا المثال تنطلق فيها الشهوات المختلفة في ميدان البطر فيسود مفضولها على فاضلها و يستملي صغيرها على كبيرها فلا تنشأ فيها مبادئ الارتقاء الحقيقي والآداب الحقيقية ولا تبلغ فيها سلامة الذوق في الفنون والتحقيق العلمي والصبر عليه صبراً يرقي العلم و يسهل الحياة و يجملها مبلغاً يذكر . بل تكون هذه الامة امة مقلدة في كل هذه . وكل ما عندها (اتباع لا ابتداع)

و بعض علماء الاجتماع يقولون ,, لا بل ان الاصلاح الادبي لازم عن الاصلاح المادي '' وفي جملتهم العلامة تاين . فعندهم ان الامة اذا ارتقت مادياً اقترن ارتقاؤها المادي هذا بارتقائها الادبي حتماً . لان الثروة قوة واستقلال . ومتى قوي الانسان واستقل اصبحت نفسه تعاف الرذائل التي تنشأ عن الفقر والذل والضعف كالكذب والاحتيال للكسب ودفع الاذى عن نفسه وكالجرأة وحرية الفكر لعدم خوفه في فكره لومة لائم وكمعيشته حراً عاملاً نشيطاً لانه تعود العمل والنشاط اللذين ابلغاه ما بلغ . ناهيك عن ان انانية الانسان بعد بلوغها الثروة المادية تطمح الى الثروة الادبية بسائق غريزتها فيميل الانسان الى الظهور وطيب الاحدوثة بين الناس واستمالتهم اليه ليكون له عندهم مكان سني ووساد مثني . وهذا لا يكتسب في الهيئة الاجتماعية اكتساباً حقيقياً الا بصالح الاعمال وحميد الاخلاق ونفع الناس والظهور بمظهر الفضلاء

على ان الحكم بين هذين المبدأين كالحكم في المسألة القديمة التي تتداولها جميع المدارس وتجعلها مناظرة بين الطلبة وهي ,, أيّ انفع للهيئة الاجتماعية العلم أم المال ؟ '' وقد سُئل يوماً احد الطلبة هذا السوءال فالقى على سائله هذا السوءال المضحك ,, وانت افدني . أيّ انفع لك رأسك ام قدماك ''

والرأي الصحيح ان الاصلاح المادي يجب ان يكون في كل امة مقترناً بالاصلاح الادبي . ولا ضرر في ان يسبق احدهما الآخر مرحلةً او عدة مراحل اذا كان سيرهما منتظماً . ولكن ليست هذه بعقدة المسألة . وانما العقدة تقدُّم احدهما على الآخر في الامة تقدماً بعيداً دون تدبير ولا انتظام . ففي هذه الحالة نرى ان النتيجة تكون تابعةً (لطبيعة) تلك الامة . وهنا حلُّ المشكلة على ما نرى

قس ذلك على الافراد مثلاً : خذ رجلين اثريا بعد فقر تجد ان احدهما ادّبه فقره وهذبه غناه فارتقى . واحدهما لم يوءدبه فقره وافسده غناه فانحط . وخذ رجلين تأدبا وتهذبا معاً تجد ان احدهما يوءدي به ادبه وتهذبه الى العلم وانتفاع الناس بعقله وفضله واحدهما يوءدي به ادبه وتهذبه الى الامراض الادبية والافكار الفوضوية . فالحكم على آثار الاصلاح المادي والاصلاح الادبي في نفوس الامم والافراد متوقف على طبيعتهم والصفات التي صيغ منها وجدانهم والموءثرات الخارجية التي توءثر فيهم — قبل كل شيء

﴿ مثال الولايات المتحدة ﴾ واقرب دليل على ذلك الولايات المتحدة ان اشدّ اعتراض يعترض به على الولايات المتحدة انصرافها الى الحياة المادية انصرافاً كلياً وكبر دعوى ابنائها في قولهم انهم سبقوا جميع امم الارض حضارة ومدنيّة . وكثيرون من مفكري الاوروبيين يعدّون (هذا الانصراف الكلي الى كسب المال والادعاء الفارغ) اكبر نقائص الاميركيين ويعيرونهم به .

فهم يقولون مثلاً (ان الاميركيين تجار وصناع وزراع ليس الا . اما باقي آثار القوى البشرية التي هي مظاهر المدنية الحقيقية كالاثار العقلية والنفسية من علوم وفنون وسلامة ذوق ورقة اخلاق — فجميعها ضعيفة عندهم ضعفاً يضعهم في منزلة الامم الثانوية) وهم يوجهون اليهم اللوم والتقريع على الاخص بشأن الفنون لانهم يعدّونها (مقياس الارتقاء) . فيقولون انه ليس في اميركا أثر للفنون الحقيقية الصحيحة التي يجوز لغيرهم من الامم ان يقتبسها منهم ويأخذها عنهم غير الرقص الاميركي الذي سيتغلب في المستقبل على الرقص الاوروبي لانه اجمل منه وادعى الى الرياضة وصوت الزنوج رجالاً ونساءً الذين اذا احسنوا فن الغناء امكنهم ان يفوقوا على جميع مغني العالم لان لصوتهم قوة خاصة وصفاءً خاصاً . فكأنهم ينظرون الى الولايات المتحدة نظرهم الى امة برزت الى حلبة الميدان لمبارزة الاقران والتفاضل عليهم وكان الاولى بهم ان ينظروا اليها نظرهم الى امة آخذة في التكون والحضارة والجري في حلبة المدنية اذ لم ينقضِ بعدُ على حياتها الوطنية اكثر من ١٤٥ سنة

فاذا نظرنا الى الامة الاميركية هذا النظر من هذا الوجه تغيّرت المسألة واصبحت هكذا : هل الطريق التي تسلكها الآن الولايات المتحدة طريق تؤدي الى ارتقائها ارتقاءً حقيقياً في العلوم والفنون وسائر آثار العقل والنفس ارتقاءها في الآثار المادية ذلك الارتقاء الهائل . ام تلك الطريق مسدودة في وجهها فتستمر على كسب المال بغزارة وتبذيره بغزارة دون ان ترتفع نفسها في الافاق العليا التي تعيش فيها الامم العليا

والبحث في هذه المسألة في المقالة التالية

العلم والحياة

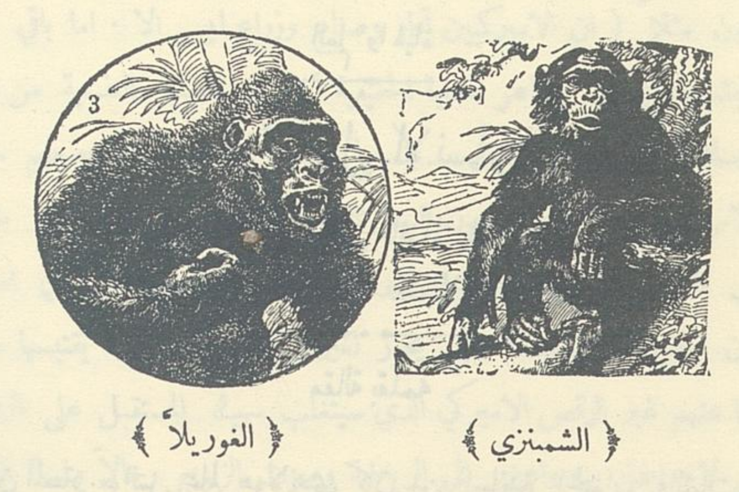
سرّ اصل الانسان

ان عالماً هولانديًا يدعى موانس سافر الى بلاد الكونغو في افريقيا ليستولد الحيوان المتوسط بين الانسان والحيوان

مقالة بقلمه

ان المستر موانس عالم هولاندي كان من اساتذة الحيوان والنبات في مدارس هولانده العليا . وقد سافر الآن الى بلاد الكونغو في افريقيا لغرض علمي شرحه في مقالة كتبها قبل سفره . وهذه خلاصتها قال

,, ان مسألة اصل الانسان والحيوان مسألة تهمّ كل ذي فكر في هذا العصر . واننا اذا نظرنا الى الانسان والحيوان المرتقي كالقرود العليا وجدنا ان عدد عظامهما واحد (نحو ٢٠٠) وكذلك عدد عضلاتهما (نحو ٣٠٠) واسنانهما (٣٢) وفي بدنيهما مشاركات كلية اخرى كالتوليد والرضاع وغيرها . بل هنالك شبه اعظم . فانه قد ثبت اننا اذا أدخلنا دم حيوان الى دم حيوان آخر ليس من نوعه مات هذا الحيوان مضطرباً معذباً . ولكن اذا ادخلنا اليه شيئاً من دم حيوان من نوعه كالفرس والحمار او الكلب والذئب فان هذا الحيوان لا يمسّه ضرٌ لان الدم الغريب الذي أُدخل الى دمه لا يقتل فيه الكريات الحمراء . وكذلك الانسان والقردة فاننا اذا ادخلنا شيئاً من دم الانسان الى دم قرد مرتقٍ لا يتأثر هذا القرد ولكن اذا ادخلنا اليه دماً ليس بدم انسان فان هذا الدم يقتله . وقد اثبت العلامة متشنيكوف ان القردة يسري اليها عدوى الزهري اذا خالط دمها دم انسان مصاب به في حين ان هذا الداء لا يسري الى غيرها من الحيوان . فرادى



﴿ الشمبنزي ﴾ ﴿ الغوريلاّ ﴾

ان ارحل الى الكونغو الفرنسوي حيث أجد كثيراً من القردة المرتقية العليا كالاورنغوتان والشمبنزي والغورلا والجيبون وأزوج انواعها بعضها ببعض لاستيلاد نوع جديد منها . واذا تعذر عليَّ ذلك بسبب كراهة هذه الانواع بعضها بعضاً وعدم تلاؤم اذواقها وحواسها فانني اعمد الى استيلادها بواسطة التلقيح الصناعي

﴿ الانسان الحيوان ﴾ ولكني اذا قدرت على ذلك فيجب عليَّ ان لا أقف في منتصف الطريق فان مسألة اصل الانسان مسألة كبرى . ومذهب النشوء والارتقاء يُثبت ان الانسان ترقى عن حيوان ارقى من القرد واحط من الانسان . ولكن هذا الاثبات لا يزال نظرية وما زلنا نبحث عن هذه (الحلقة المفقودة) بين الانسان والحيوان . وقد اكتُشفتْ ثلاث جماجم واحدة في نياندرتال في سنة ١٨٥٦ وواحدة في مغاور سبيى قرب النمور في سنة ١٨٨٧ وواحدة في ترنييل (جزيرة جافا) في سنة ١٨٩١ وكلها تدلُّ على انه وُجد في الزمن القديم حيوان ارقى من ارقى القردة الآن وهو احط من الانسان وهو الحلقة المفقودة . فسابذل جهدي في الكونغو في ايجاد هذه الحلقة واستيلادها . وذلك ان آخذ ارقى انواع القردة واستولدها من الانسان بالتلقيح الصناعي العلمي حيواناً

جديداً يكون تلك الحلقة المفقودة بل المنشودة

قال : وقد نشطتني جلالة ملكة هولانده وسمو الامير زوجها وجلالة الملكة والدتها الى الاقدام على هذا الامر وزودوني بمساعدتهم وكذلك الحكومة الفرنسوية ومختبر باستور في باريز ساعداني وزوداني بالتوصية اللازمة الى حاكم الكونغو الفرنسوي العام ''

قلنا . هذا معنى مقال المسيو موانس ان لم يكن حرفه . واننا ندعو له بمثل دعوتنا في الجزء العاشر من السنة الخامسة لجناب الدكتور شركو الذي سيسافر الى القطب الجنوبي لاكتشاف الفردوس الارضي فيه . ولعل لحضرات العلماء عذراً في امثال هذه الدعاوي الكبرى وهو توجيه انظار الجمهور اليهم ليقبل على مساعدة اعمالهم النافعة

أكبر بيت تجاري

في الدنيا كلها

وفروع عمله

هو بيت المستر ركفلر المثري الاميركي المشهور . وجميع الناس يعلمون ذلك . ولكن قليلين منهم يعلمون فروع اعمال هذا البيت المالي العظيم

(حديث رئيس وزراء روكفلر) قال المستر ارشيبلد رئيس وزراء سلطنة ركفلر الواسعة ونعني مدير أعماله في حديث له مع المستر لوزان الصحافي الفرنسوي المشهور ما خلاصته :

(فروع اعماله) لكي تكون الاعمال قوية يلزمها ما يلزم الافراد ليكونوا اقوياء وهو الاستقلال عن أي كائن وكفاية نفسها بنفسها . وقوة (شركة

الزيت) ناشئةعن هذا الاستقلال والاستغناء . خذ أي برميل من ملايين براميل زيت البترول التي نوزعها في اقطار الدنيا كلها تجد ان كل ما في البرميل باطناً وظاهراً هو من صنعنا وعمل ايدينا . فنحن نستخرج الزيت من آباره. ونحن نصنع براميله من اخشاب نقطعها من غاباتنا في ولاية كارولينا . ونحن نصنع القطران الذي يُطلى به باطن البرميل لكي لا يرشح . ونحن نصنع الشمع الذي يُسد به ثقب البرميل الذي يُدخل فيه الزيت ويُخرج منه . ونحن نصنع في معملنا في اويل ستي (مدينة الزيت) الآنية التي يوزع فيها مشتري البرميل زيته بعد فتحه. ونحن نصنع المصابيح التي يُفرغ فيها الزيت للاستصباح . ونحن نصنع الذبالات (الفتائل) التي توضع في تلك المصابيح لتُحرَق وتُنير . ونحن نصنع الشمع الذي يوقد الذبالة لانارة ذلك المصباح . ونحن نصنع عربات الشحن التي تُشحن بها جميع بضائعنا هذه .

﴿ حاصلات سنة واحدة ﴾ ففي سنة ١٩٠٦ بلغ مجموع ما استخرجناه كما يأتي :

مليون

١٥ برميلاً من بترول الاستصباح

١٠ براميل من النفط

١٠ براميل من البترول لدهن الآلات وتزييتها

وعدة ملايين بوند من الشموع

﴿ وسائل الاستخراج والنقل ﴾ ولدينا ألوف وألوف من المضخات لاستخراج هذا الزيت من الارض ونقله من مكان الى مكان

وعشرون معملاً للتصفية منها واحد في بايين يعمل فيه اكثر من ستة آلاف عامل

و ١٢ الف كيلومتر من الاقنية الكبرى يجري فيها الزيت من ١٢٠ الف كيلومتر من اقنية صغرى تصبّ فيها . فاذا وصلتَ جميع هذه الاقنية بعضها ببعض امكنك ان تطوّق بها الكرة الارضية ثلاث مرات

ولدينا في الولايات المتحدة ٦٣٢٦ محطة حديدية او بحرية

و ٩٢٠٠ عربة شحن خصوصية لنقل الزيت

واسطول مؤلف من ٦٥ سفينة بخارية و١٩ مركباً شراعياً و١٠٥ زوارق شراعية و ٢٩ سفينة لقطر السفن و ٦ زوارق بخارية

ومجموع جيشنا العامل عندنا ٧٠ الف رجل فعددهم يزيد على عدد جيش رئيس الولايات المتحدة ٤ آلاف رجل لان عدة جيش الرئيس في زمن السلم ٦٦ ألف جندي برّاً وبحراً

وندفع لهؤلاء العمال في كل يوم ٧٥٠ الف ريال اجرة لهم فمجموع ما ندفعه لهم في العام ٢٥٠ مليون ريال"

وكان هذا الحديث في نافذة بناية ركفلر في نيويورك . ولما فرغ رئيس وزراء ركفلر من كلامه تكلم وزير الخارجية وهو الذي يدير مهام المحل الخارجية . فاشار باصبعه الى فرضة بعيدة في نيوجرزي امام نيويورك وقال

﴿ الصادرات للخارج ﴾ انظر هذا مرفأ بايين وهو مرفأ لنا انشأناه بمالنا . وانك لترى فيه الآن سفينة فهي تأخذ منه ٥٠ الف برميل لتوصلها الى الهند . وفي المساء تسافر وتحل محلها سفينة اخرى فتأخذ ايضاً ٥٠ الفاً لتوصلها الى همبرغ . وبعد غد ستشحن سفينة اخرى ٥٠ الفاً اخرى الى اوستراليا . وهكذا كل يوم تدخل سفينة وتخرج اخرى . ففي السنة نشحن من هذا المرفأ ٣٦٥ برميلاً

(بعدد ايام السنة) تتضمن اربعة مليارات و ٥٢٠ مليون ليتر من زيت البترول ·
و بضاعتنا هذه تنفذ حتى الى اقصى اقاصي المعمورة · فان الكابتن سميث
يوم كان سائحاً في منغوليا تاه في صحرائها فبلغ قرية لم يدخلها اجنبي ولكنه
رأى فيها شعار (ماركة) محلنا على احد آنية زيتنا

قال الكاتب : وبعد هذا الحديث اطللت من نافذة مكتب ركفلر التي
كنت واقفاً فيها فنظرت الى الناس تحتي في الشارع فرأيت ان سلطنة ركفلر
اوسع مما كنت اظن واكبر مما فصّله لي رئيس الوزراء ووزير الخارجية · ذلك
لان جميع البشر من جميع الشعوب والامم يدفعون الآن الضرائب للمستر ركفلر
— ضرائب الزيت والنور

باب الاخبار العلميّة

﴿ لكي يلد لك اولاد اقوياء ﴾ أخذ الاستاذ بينار يدعو في فرنسا الى
العناية بالنسل الفرنسوي عناية خاصة · وقد القى في الجمعية الطبية خطبة قال
فيها ان النسل الفرنسوي ينحط لان اكثر الاولاد الذين يولدون يكونون
ضعفاء البنية اما لامراض يرثونها عن اهلهم واما لضعف يكون طارئاً على آبائهم
وامهاتهم حين تكوينهم الاولاد · قال وهذا اي الامر الاخير لا يهتم له الآباء
مع انه امر واجب لقوة نسلهم فيجيء اولادهم ضعفاء عزماً و بنية · ثم قال الاستاذ
بينار ان اولاده جميعاً اقوياء لانه انتبه الى هذا الامر واستشهد على صحة رأيه
بالوف من المشاهدات التي شاهدها

﴿ امير مخترع واخذه براءة باختراعه ﴾ اخترع الامير هنري شقيق امبراطور
المانيا آلة ذات عارضتين توضع على اللوح الزجاجي الذي امام سائق الاوتوموبيل

في الشتاء وتدار من الداخل فتتعارض العارضتان على لوح الزجاج وتنظفه مما يعلق عليه من الغبار او بخار ماء الشتاء وكثيراً ما حدث اصطدام الاوتوموبيل بغيره من المركبات بسبب تعكر صفاء هذا الزجاج لامتناع رؤية السائق الاشياء امامه خاصة في الليل . وقد اخذ الامير براءة باختراعه وسيعمم جميع مركبات الاوتوموبيل في المانيا ثم يتطرق الى غيرها لانه حاجة من حاجات الناس

﴿ صدرة لا يخرقها الرصاص ﴾ صنع كولونل روسي صورة من البلاتين والراديوم والفضة وشكلها كشكل حراشف السمك وهي اصلب من الفولاذ ثلاث مرات ونصف فاذا لبسها رجل واُطلق عليه الرصاص من بندقية موزر تسطحت الرصاصة على حراشف الدرع ولم تنفذها

﴿ بحيرة غارت ﴾ بين حدود فرنسا والمانيا في جبال الالب المدعوة غر يزونه بحيرة غارت ولم يبق لها اثر وسبب ذلك اضطراب باطن الكرة الارضية اضطراباً يغير وجه الارض على الدوام

﴿ اطول لحية في الدنيا ﴾ هي لحية ايطالي يُدعى رونشتي في بلدة اورماناس وطولها متر وستون سنتيمتراً وهو يقص اطرافها حتى قدميه لئلا تكنس الارض

﴿ غيرة الهرة ﴾ كان لسيدة في كليفلند (اوهايو) هرة تدللها واذ رزقت غلاماً انصرف هذا التدليل الى الغلام واصبحت السيدة قلما تعنى بالهرة ففي ذات يوم داعبت الام طفلها ساعة والهرة تنظر اليها واذ القت الام طفلها في السرير بعد المداعبة هجمت عليه الهرة واوسعته عضاً وخمشاً في وجهه وفقأت احدى عينيه فتوفي الطفل

﴿ كتاب الشيطان ﴾ في مكتبة ستوكهولم كتاب مجلد كبير اوراقه من جلد الحمار ويدعونه (كتاب الشيطان) لان كل رسومه تمثل ابالسة وشياطين بصور مختلفة وهو من تحف المكتبة

﴿ الاستفادة بحركة ماء البحر ﴾ وضعوا في مصب نهر الالب عوامة كبرى ووصلوها بسلك متصل بدولاب في البر فاذا دفعت مياه النهر والبحر العوامة تصويباً وتصعيداً تحرك الدولاب بحسب حركة العوامة وادار آلة كهربائية · وبذلك يُستفاد بحركة الامواج الذاهبة ضياعاً

﴿ اكبر سمكة في نهر ﴾ اصطادوا من احد انهر كاليفورنيا سمكة زنتها ٣٨٥ بونداً وهي اكبر سمكة صيدت من مياه حلوة

باب التقريظ والانتقاد

﴿ الراوي ﴾ هي مجلة روائية يصدرها في كل اسبوع جناب الكاتب الفاضل طانيوس افندي عبده في الاسكندرية ويتضمن كل جزءٍ منها قسماً كبيراً من رواية وعدة صفحات فيها فوائد وادبيات غاية في الرقة والفائدة · وقيمة الاشتراك فيها ٣٠ فرنكاً خارج مصر فنرجو للرصيفة النجاح · وهي تُطلب من ادارة الجامعة في نيويورك

﴿ الفكاهات العصرية ﴾ هي مجلة ادبية روائية ايضاً لصاحبها جناب الاديب عبدالله افندي غزاله وتصدر في مصر القاهرة وفي العدد الاول منها رواية (سبيكة الذهب) تعريب حضرة الاديبة استرمويال فنرجو للرصيفة كل نجاح وانتشار

﴿ مكتبة التوفيق ﴾ انشأ جناب الاديب توفيق افندي كبوش في بيروت مكتبة جديدة دعاها مكتبة التوفيق وجمع فيها أهم ما يحتاجه المتأدبون والمدارس من الكتب والروايات · وهو يرسل قائمة الكتب مجاناً لكل من يطلبها · فنرجو لحضرته النجاح

التفتت نحو النافذة فوقع بصرها على بصر الواقف وراءها فجلست في سريرها وقد بغتت وظهر الاستياء في وجهها . الا انها أظهرت الرضى والبشاشة فابتسمت وقالت عم مساء . هذا انت يا ربي يوسف (١) تفضل وادخل اذا شئت

فاصطكت ركبتا يوسف تحته الا انه تجلد وقال عمي مساء ايتها السيدة مريم . كيف حالك الآن . عسى ان يكون قد فارقك اعتلالك

فضحكت مريم وقالت ادخل لاقص عليك قصتي

فترك يوسف النافذة وسار يقصد الباب . فلما دخل استقبلته مريم ضاحكة وقالت . حقاً ان قصتنا لليوم قصة تستحق التدوين . فقد كنا جميعاً فلاسفة وحكماء انت وشيشرون وانا . ولكن هل علمتَ ايّنا كان اكثر حكمة واشد تأثيراً ! . قالت ذلك ثم اشارت الى رأسها وقالت : ,, هذا '' او بالحري ما وضعتُ في هذا . فانني شربت شيئاً من الخمرة لانني احسست بضعف فخانني ضعفي وتملكت الخمرة عناني فانطقتني بما انطقتني . والان يخيل لي انني خارجة من حلم رأيته في عالمٍ آخر غير هذا العالم . تفضل واجلس يا ربي يوسف . ما لي اراك كئيباً ولم تكن كذلك حين فارقتني

وكان يوسف كئيباً في الحقيقة في تلك الساعة . فانه توقّع بعد ما جرى ان يرى مريم رزينة هادئة نادمة فوجدها كالعصفور خفةً ونشاطاً ورأى لسانها امضى تهكماً وعينيها اسطع برقاً وفاها الذي كان له في الوادي منظر الغضب والرجولية تحيط به الآن شفتان رقيقتان اذا ضمتا اشبهتا وردة نيسان ولهما لغة تعرفها العينان فيدخل معناها الى القلب دون استئذان

رأى يوسف مريم في هذه الحالة وكل قلب غير قلبه يراها فيها يطير لبه

---

(١) ربي معناها في العبرانية (معلم)

اليها وتنبعث في نفسه خفة الطرب والغزل تحركها اوتار الجمال والدلال · ولكن يوسف اكتأب لدى هذا المنظر ولم يستخفه الطرب · وكان ينظر في عينيها شاخصاً كأنه يطلب النفوذ الى اعمق اعماق نفسها ليلمس بنفسه نفس تلك المرأة فكأن مظاهر جمالها الخارجي لديه غير موجودة فما كان له عين لها ولا لفتة نحوها · وكانت نظرات يوسف الغريبة وشخوصه السوداوي المضحك مما يزيد في خفة نفس مريم وطربها فكانت مريم تزداد ضحكاً وهرجاً فيزداد هو ارتباكاً واكتئاباً الى ان تغلّب على نفسه فقال —

— انك تعتذرين ايتها السيدة عن جدك اليوم تحت الرمانة بهزلك الآن · ولكني اقول بكل صراحة انني افضل جدك ذاك على هزلك هذا

فقهقهت مريم وقالت — انت اول رجل قال لي هذا القول

فعبس يوسف وقال — ذلك لانني اول رجل مخلص لك يقول لك الحقيقة

فرفعت مريم رأسها بكبرياء كانت تزينه ابتسامة في شفتيها كمن يريد ان يقول قولاً بين الهزل والجد بعد هزل محض وقالت

— الحقيقة ؟؟ ولكن ألستَ على مذهب صاحبك الروماني شيشرون الجميل · · · أما سمعت من فيه قوله عن (حقيقته)

فاطرق يوسف يفكر وهو في حيرة من امره · فقد وجد في سؤال مريم هذا سبيلاً للدخول الى ما كان يريد الدخول معها فيه وبسط كل ما في نفسه ولكنه كان متردداً · وكان يمرّ يده على جبينه من حين الى حين ويمسح عنه العرق ويضغط بكفه على رأسه لتسكين ثورته المزدوجة ثورة الخمر وثورة قلق الحب · ذلك لان يوسف كان قد شرب كل الخمر الذي كان في حق في جيبه قبل بلوغه المنزل كما رأى القارىء تشجيعاً لنفسه · وكأنه اشتدّ عليه حينئذ تأثير ما شرب فجلس بغتة على مقعد في الغرفة دون ان يُدعى الى الجلوس وصاح متأففاً ·

— اف ما أضيق عقول البشر

فدهشت مريم لهذه الحركة الفجائية التي تحركها يوسف فالتفتت نحوه وقالت وفي كل كلمة من كلامها سهم

— مالك يا ربي يوسف هل تشكو ألماً او انزعاجاً

وكان حينئذ بخار الخمر يضغط على دماغ يوسف ضغطاً شديداً فلم يبق في طوقه الصبر لدى تهكم مريم وفتور كلامها فاكبّ على المقعد يستر وجهه بيديه . فدنت منه مريم مستغربة ومدت يدها فقبضت على يده وازاحتها عن وجهه .

وكان يوسف يُسرُّ البكاء وهو يستر وجهه . فلما مسّت يد مريم يده وشعر ببشرتها الناعمة الباردة اقشعرّ بدنه واستخرط في البكاء بصوت رفيع . واذ أزاحت مريم يده عن وجهه ورأت دموعه وسمعت زفيره دُهشت وجمدت في مكانها لا تعلم ماذا تفعل . ثم غلبتها عواطفها فجلست بجانبه وأمرّت كفها على وجهه تمسح دمعه في اثناء زفيره وهي تقول له

— علامَ البكاء يا يوسف . علامَ البكاء

ولو أُعطي يوسف حينئذ ملك سليمان لما كان الملك لديه بالذّ من مرور كف مريم على خده وندائها اياه ,, يا يوسف '' دون لقب ولا وصف . فقد رأى في اشارتها هذه وندائها هذا اول صوت إخلاص خرج له من قلبها

ولكن لذته هذه نبّهته الى نفسه واعادت اليه كبرياءه فمسح بكمه عينيه كلمح البصر واستوى جالساً دون ان يجترئ نظره على الوقوع على نظر مريم . فكأنه هو المرأة وهي الرجل

فكررت مريم عليه سؤالها — علامَ البكاء يا ربي يوسف

فشعر يوسف هنا بوخز (كلمة ربي) فاستجمع قواه وتغلب على نفسه وقال

— انني ابكي ايتها السيدة لذكرى امي فانها تسمى باسمك

فابتسمت مريم وقد عادت اليها خفتها وقالت : وهل هذا أمر يوجب بكاءك؟

فعيل صبر يوسف لهذا السؤال فاجاب لعل ما كان في راسي من الشراب فعل فيَّ ما فعل فيك ما كان في رأسك منه كما قلتِ الساعة

فزادت مريم في الابتسام وقالت — وهل هذا أمر يوجب ايضاً ذلك ؟ قل الصحيح يا ربي يوسف

فهنا ضاق يوسف ذرعاً واستشاط غضباً وانتصب قائماً وقال :—

— انك تريدين ان تتلذذي بمرأى عذابي . ويسرك ان تسمعي اعترافي من فمي . فاسمعي اذاً . أتريدين ان اقول لك انني احبك وانني بكيت من اجلك ؟ لا بأس فانني اقول لك ذلك اذا كان يحلولكِ . واقول ايضاً اكثر منه . أقول انني لم أنم منذ ليلتين ولم أتناول من الطعام الا ما يسد الرمق . ذلك لانني منذ عرفتك طارت اليك نفسي . هل انتِ راضية الآن عن اعترافي . ثم اسمعي شيئاً آخر . ان مجرد ذكر اسمكِ يجري دموعي . فان امي تُدعى مريم ويهولني ان اسماً كاسمها يقيم في منزل كهذا المنزل .. انني ليخيل لي حين اسمعه ان كل حرف من حروفه الجميلة يصيح ويستغيث ويطلب الفرار من هذا الجو الموبوء . وما دموعي الا جواب صياحه واستغاثته ... أعلمتِ سبب دموعي ؟ ثم انكِ ايتها المرأة جزء من الانثوية التي هي شطر من الجنس البشري . ولدى كلٍّ منا جزء من هذا الشطر اي امهات واخوات و بنات . فانا ابكي لاهانة الانثوية الشريفة فيكِ اذ في اهانتها اهانة لجميع الجنس الذي ننتسب اليه وخرجنا منه وهو لدينا أكرم جنس

ألستِ ترين في كل هذا ايتها المرأة الجميلة سبباً وعذراً لجريان دموع رجل؟ لاي شيء اذاً نبكي في هذه الحياة؟ ولماذا خلق الله لنا الدموع !

فتنهدت مريم تنهداً طويلاً ورفعت عينيها الى سقف الغرفة كانها تطلب

السماء وتستجير بها . فادرك يوسف معنى تنهدها وحركتها فقال — اذا كان كلامي قد اضجرك الى هذا الحد فاللوم عليك . فانك سألتني ما سبب دموعي فبسطته لك

فبهتت مريم ولزمت الصمت والسكون ولكن باطنها كان مضطرباً . وبعد حين التفتت الى يوسف وقالت

— أتريد ان ابسط لك رأيي ايضاً ايها الشاب يوسف . حقاً انك ورفيقك قد ازعجتماني بوعظكما ونصائحكما ومثلكما معي كمثل رجلين شاهدا غريقاً في النهر فاخذا يلومانه على وقوعه في الماء ويؤنبانه لغرقه بدلاً من ان يلقيا بنفسيهما في النهر لانقاذه اولاً ثم يلومانه . انت ترى يا صاحب انني اخاطبك الآن بجد وقد تركت الخفة والمزح جانباً فأخبرني لماذا جئت الى هنا ؟ وعلى اي شيء تعتمد في انقاذي واخراجي من هذا البيت الموبوء كما تقول ؟ أكل ما لديك نصح ووعظ وإرشاد يا صاحب ؟ هذه كلها كلام في كلام لا يرد مقدوراً ولا يدفع امراً عسيراً . انظر اليّ ايها الشاب . هل تريد اخراجي من هذا البيت حقيقة ؟ هل تريد من كل قلبك ان تنتزع الماسة نفسها من المزبلة ! تكلم مالك لا تجيب ؟

فدهش يوسف من ان مريم اخذت تتكلم هذا الكلام بلا تحفظ ولا حذر وأجاب — نعم أريد ذلك حقيقة من كل قلبي

فقالت مريم — اذاً مدّ يدك وضعها في يدي هذه واتخذني زوجة لك فتريحني وتنقذني بالفعل لا بالكلام

فرفع يوسف رأسه لدى هذه الضربة التي وجهتها مريم اليه واحتار في الجواب . فاتمت مريم حديثها فقالت — هذي هي الطريقة الوحيدة لانقاذي على ما تحب وتشتهي كما تقول . فاذا كنت تقدم عليها فهاك يدي ممدودة فمدّ يدك

وضعها فيها · انك ترى انني لست بطماعة ولا اشترط عليك شرطاً غير شرط الزوجة على زوجها واشترط انت عليَّ ما شئت · ما لك لا تجيب · تكلم

وكان يوسف يتوقع ان يسمع من مريم كل شيء الا هذا الكلام ولذلك بقي في حيرته في الجواب · وقد استجمع قواه كلها للبحث عن جواب على قدر السؤال فلم يجد غير قوله بتردد

— هذا شيء آخر · · · ايتها السيدة مريم · · · وهو خارج · · · عن موضوعنا · · · ومع ذلك · · · فانني لا اقدر عليه

فضحكت مريم وصاحت — كلا ليس هو بخارج عن موضوعنا · لانه كل موضوعنا · اتخذني زوجة لك اذا كان يهمك انقاذي الى هذا الحد وحينئذ ترى من هي مريم · تقول انك لا تقدر على ذلك وقد ابقيت عبارتك مبهمة فانا افسرها لك لادلك على جنونك انت وصاحبك · لعلك تعني بقولك (لا تقدر) انك عاجز عن حمل امرأة على عاتقك اي اعالتها فانا اطمئن بالك واسكّن بلبالك بقولي انني لا اكون عبئاً ثقيلاً عليك بل مساعداً ونصيراً لك · فانني اعمل في اي شيء شئت لاكسب رزقي وانت تتخذ لك عملاً ونعيش من كسبنا · ولكن ليس هذا ما عنيته بقولك (لا تقدر) وانما عنيتَ بانه لا يمكنك ان تتخذ زوجة لك امرأة مثلي · · · لانكم ايها الرجال تتهمونني بكل تهمة بسبب معيشتي منفردة وحدي · فاذاً ماذا تريد ايها الشاب النبيه النزيه الذي يحب الخير لي ويرغب في انقاذي · · · · ولماذا تزعجني انت وصاحبك بوعظكما البارد

فاطرق يوسف يفكر ولكنه اهتمَّ لكلام مريم اهتماماً شديداً وقد اثر فيه اقتراحها ولكنه لم يعلم هل هي اقترحت هذا الاقتراح واخلصت النية فيه ام اقترحته لتعجيزه والخلاص من وعظه · غير ان هذه الفكرة لم تستوقفه وقتاً طويلاً فقال

— لم اعنِ ما ظننتِ ايتها السيدة مريم · فان لي اعذاراً لا تعرفينها

فابتسمت مريم ابتسامة غريبة وقالت — اذاً ارجو منك انت وصاحبك ان تريحاني بعد الان من مواعظكما وتتركاني وشأني · فاذا شئت زيارتي فلك ذلك في اي ساعة شئت من ساعات الليل والنهار فنتحادث في كل شيء غير هذا الشيء ونسر ونشرب ونطرب · اما انقاذي من الجو الموبوء وتخليص الحمامة من انياب الافاعي وغير ذلك من الاقوال المضحكة التي تقولها لي انت وصاحبك فلا ريب عندي في انكما تعدلان عنها بعد الآن لانني اقترحت ذلك عليك ورددت اقتراحي

وكان يوسف يسمع كلام مريم وكأنه لا يسمعه لانه كان يفكر في أمر آخر · الا انه ورد في كلامها عبارة هي جزء مما كان يجول في نفسه فقال بحدة وقوة

— اما هذا فلا

فدهشت مريم وصاحت بغضب — كيف تقول لا · وباي حق تصرّ على مداخلتك في شؤوني الخصوصية

فقال يوسف — لا تغضبي ايتها السيدة مريم فقد أسأتِ ايضاً في فهم كلامي ولعل ذلك لانني كنت مشتت الفكر فلم انتبه الى كلامك الاخير · ومعنى قولي (لا) انني لا استطيع زيارتك (لنُسر ونشرب ونطرب) كما قلتِ لان الذي يمنعني من (وضع يدي في يدك) كما اقترحتِ يمنعني من زيارتك للشرب والطرب والسرور · ولا تسأليني ما هو · فان هذا أمر بيني وبين وجداني

فهنا لم تتمالك مريم من الغضب الشديد فاطلقت لنفسها العنان وصاحت — ماذا تريد اذاً ايها الرجل · ولماذا تتبعني وتقتفي اثري · وما الذي جاء بك الى هنا · حقاً انه يظهر ان الله يريد زيادة شقائي

فرفع يوسف رأسه ونظر في عينيها دون ان يهوله غضبها وصياحها وقال

— ان كلمة (الله) في فمك يا مريم اجمل منها في كل فم غيره

فقالت مريم بسكينة وغضب ولماذا

فقال يوسف لا أعلم لماذا

فقالت مريم لعلك تظن انك اقرب مني الى الله · قه قه قه · وضحكت ضحكة التهكم ثم قالت بجد ورزانة · انني قد استوفيت عذابي في هذه الدنيا ايها الرجل والله يعلم ذلك · فكن مطمئناً · انني اقرب اليه منك ومن اي انسان · واذا كان في الآخرة مكان يستريح فيه فريق من البشر ويُعذَّب فريق فربما كنت انت مع الاخرين وكنتُ انا مع الاولين · اذ اي عذاب أشد مما ألاقي في هذه الدنيا بين هوءلاء البشر الخنازير · أما آن ان تطهرني عذاباتي · انك تراني اضحك وامزح فتظنني مسرورة راضية · فاعلم الان للمرة الاخيرة ولا تزعجني بعدها بملاحظاتك الباردة · اعلم انني كالعصفور الذي يُذبح فهو يرقص من الألم لا من الطرب · ولو صُوِّر ظاهري وباطني حين اضع في شفتيَّ ابتسامة الربيع وفي عينيَّ برق الخريف وفي حركاتي خفة العصافير وفي نفسي عدم مبالاة الصبيان لجاء ظاهري عرساً ربيعياً دائماً وباطني مأتماً ابدياً قاتماً · فكيف تستحلُّ ايها الرجل ان تزيد بملاحظاتك وملاحقاتك عذاب كائن مثلك هذه حاله · انت تلهو لهواً بشوءوني انت وصاحبك ولهوُكما هذا انما هو لعب وترويح للنفس بينما نفسي تمزَّق تمزيقاً بهذا اللعب · فاتركاني وشأني من أجل الله لا من اجلي · أسمعت ايها الشاب ؟ من أجل الله اتركاني وشأني · انك قلت انك شربت شراباً لتتشجع على دخول هذا البيت اما انا فلا أشرب شراباً وأُقيم فيه ... فيكفي ما تسمع ايها الشاب · اذهب والعب في غير هذا المكان اذا كنت لا تريد الدخول اليه كما يدخله غيرك

قالت مريم هذا الكلام بلهجة لم تبقِ مجالاً لخطاب ولاجواب فولّى يوسف وجهه شطر الباب وخرج دون ان ينبس ببنت شفة